شهرية السياسة الدولية

يقال إن السياسة العالمية فى هذا الشهر ، قد أتيح لها شئ من الدعة والاسماح ، وإن العالم سيستقبل العام الجديد هادئاً مطمئنا إلى حد ما . ومصدر ذلك فيما يقال هو أن الاجتماع الأخير لهيئة الأمم المتحدة قد انتهى إلى نتائج رضى عنها واطمأن إليها الساسة المنتصرون ؛ فقد خفت حدة الخلاف بين الكتلتين المختصمتين : كتلة السكسونيين من ناحية ، والروسيين من ناحية أخرى . فلم يكن بين الخطباء فى هيئة الأمم المتحدة ولجانها ذلك الصراع العنيف ، الذى كان ملحوظاً حين اجتمعت هيئة الأمم المتحدة فى لندن ، أو حين اجتمع مؤتمر الصلح فى باريس ، بل كان الخلاف يشتد ويحتد أحياناً حتى ينذر بالخطر ، ثم ينتهى آخر الأمر إلى نوع من التراضى يرتاح إليه المختصمون جميعاً وهذا كله حق ليس فيه شك . وهناك حق آخر ليس فيه شك وهو أن اجتماع هيئة الأمم المتحدة الأخير قد انتهى إلى الاتفاق على طائفة من المسائل كان يظن أن ليس إلى الاتفاق عليها من سبيل . فقد تم الاتفاق مثلا على شئ من التقدم نحو تخفيض التسلح ، والاشراف على القنبلة الذرية وما يشبهها ، أو يقاربها من الأسلحة الفتاكة ، وعلى أن يكون هذا الاشراف غير خاضع لحق الاعتراض الذى تستمسك به الدول الكبرى . بل اتيح للهيئة التى ستشرف على تخفيض التسلح حق التفتيش والتثبت داخل حدود الدول مهما تكن . وما من شك فى أن هذا الاتفاق خطوة قيمة فى سبيل التراضى والتعاون بين الدول الكبرى . ولكن الاندفاع فى التشاؤم شر ، كما أن الاندفاع فى التفاؤل ليس أقل منه خطراً . فليسجل هذا الاتفاق الذى تم فى شئ من الرضا . ولكن فى كثير من الاحتياط . فاتفاق المختلفين فى قاعة الاجتماع بهيئة الأمم المتحدة شئ . وتنظيم الاجراءات العملية لتنفيذ هذا الاتفاق ، ثم تنفيذ هذا الاتفاق بالفعل فى أمانة وصدق واخلاص شئ آخر . وكل ما يمكن أن نقرره هو أن ساسة المنتصرين قد افترقوا على شئ من تقارب وجهات النظر ؛ فهم سيستقبلون العام الجديد فى شئ من الأمن الموقوت . ولكن المسائل الكبرى التى هى مثار الخلاف بين المنتصرين ما زالت قائمة لم تمس إلى الآن . فأمريكا مستأثرة بالقنبلة الذرية لم تفض بأسرارها بعد ، ولم تبح إعدام ما أنشئ منها ولم تسلم بوقف المضى فى إنتاجها . كل ذلك مرهون بتمام الاتفاق ، وتمام إنفاذه فى دقة وأمانة وإخلاص .

وكذلك تقاربت وجهات النظر فى قضيتين خطيرتين : إحداهما القضية الأسبانية ، فقد كانت روسيا وفرنسا تطالبان بقطع العلاقات السياسية والاقتصادية مع أسبانيا ، وكانت بريطانيا العظمى والولايات المتحدة تأبيان هذا كل الاباء ، فتم الاتفاق على أن تستدعى الدول سفراءها ووزراءها المفوضين من مدريد ، وتبقى السفارات والمفوضيات يشرف عليها القائمون بالأعمال ، ويراقب مجلس الأمن

تطور الأمور فى أسبانيا . وقد يكون لهذا الاجراء أثره فى إنقاذ الشعب الأسبانى من نظام الجنرال فرانكو ، وقد لا يكون . ولكن المهم هو أن الدول قد استطاعت أن تصل إلى صيغة يمكن الاتفاق عليها .

أما القضية الثانية ، فهى قضية الخلاف بين الدولة اليونانية وجاراتها الموالية لروسيا . وقد انتهى مجلس الأمن فيها إلى اتفاق قد يجدى وقد لا يجدى ، ولكنه اتفاق على كل حال . وخلاصته أن تنشأ لجنة دولية للتحقيق ، تزور البلاد المختصة ، وترفع تقريرها إلى مجلس الأمن . وواضح أن كل هذه الألوان من الاتفاق تقوم على التراضى الذى ينزل فيه كل من المختصين عن بعض مايريد ؛ فهى اتفاقات ليست حاسمة ولا ملغية للمشكلات القائمة . فكما أن مشكلة القنبلة الذرية لاتزال قائمة ، فنظام فرانكو لايزال قائماً فى أسبانيا والاحتلال البريطانى لايزال مستقراً فى اليونان والحرب الأهلية لاتزال مضطرمة فى اليونان أيضاً . وهناك مشكلة شغلت العالم عاماً وأكثر من عام ، وقد أخذت تنحل فى هذه الأيام ، دون تدخل من مجلس الأمن ولا من هيئة الأمم المتحدة ، وهى مشكلة إيران . فقد اقتحمت جيوش السلطة المركزية أذربيجان ، وقضت على استقلالها الذاتى ، واستقرت على الحدود الروسية الايرانية ، واستردت سلطان الحكومة المركزية على الأرض الايرانية كلها ، لم تعترض على ذلك روسيا ، ولم تؤيده بريطانيا العظمى تأييداً ظاهراً . ولكن من سبق الحوادث أن نقرر انتهاء المشكلة الايرانية إلى غايتها ؛ فالدول المنتصرة تنظر صامتة فى ظاهر الأمر إلى تطور هذه المشكلة على هذا النحو ، ولكننا سنرى بعد انتهاء الانتخابات الايرانية ، وقيام الحكومة الجديدة كيف تلائم هذه الدول المنتصرة ذات المصالح المعقدة ، والمطامع التى ليست أقل تعقيداً من مصالحها ، بين موافقها وبين النظام الجديد . والحقيقة الواقعة التى لايختلف فيها اثنان هو أن كل هذا الاسماح الذى طرأ على السياسة العالمية فى هذه الأيام ، مصدره تغيير فى الخطة الروسية . فقد عمدت روسيا من غير شك إلى شئ من اللين والاعتدال ، ونزلت عن كثير من تشددها فى كثير من المسائل . فما مصدر هذا التغيير ؟ يقول المتعجلون إن مصدره الحزم الانجليزى الأمريكى الذى أشعر روسيا بأن تشددها منته إلى الكارثة . ونعتقد نحن أن مصدره دهاء السياسة الروسية ، فمن الخطل أن نظن أن روسيا كانت مصممة كل التصميم فى تشددها ، وإصرارها على العنف ، وإنما كانت تتشدد وتسرف فى التشدد ، وهى تعلم حق العلم أن خصومها لن يسلموا لها بكل ماتريد ؛ فهى تدافع عن وجهة نظرها ما وسعها الدفاع وتطلب الكثير لتظفر بالقليل . ومن أخطأ الخطأ أن يظن أن السياسة الروسية قد انهزمت أمام السياسة السكسونية ؛ فالبلقان مازال خالصاً لروسيا ، لايستثنى منه إلا اليونان ، ومطالب روسيا مازالت قائمة فيما يتصل بالمضايق ، وقد وافقت روسيا آخر الأمر على معاهدات الصلح المختلفة ، بعد أن ظفرت بأقصى ما كان ينتظر أن تظفر به . ويمكن أن يقال إن المشكلات التى كانت تواجه المنتصرين لم تحل إلى الآن حلا حاسماً ، وإنما موعد هذا الحل الحاسم هو اجتماع وزراء الدول الكبرى فى موسكو بعد شهرين .

هنالك . وهنالك ليس غير ، نستطيع أن نتبين أيمضى العالم حقا إلى التعاون والاتفاق ، أم إلى التنابذ والاختلاف . ففى الاجتماع المقبل ستعالج المشكلة الكبرى التى تدفع أوربا إلى سلم مستقرة ، أو تهيئها للحرب العالمية

الثالثة ، وهي مشكلة الصحح الذى يراد أن يفرض على ألمانيا .

وبينما تجرى السياسة العالمية العامة على هـذا النحو من التقارب الذى يدعو إلى الاطمئنان ولا يعفى من القلق ، تحـدث فى غرب أوربا أحداث لها ما بعدها ، ولعلها أن تكون أبعد أثراً فى المستقبل العالمى القريب من كل هذا اللغط الذى امتلأ العالم به أثناء اجتماع هيئـة الأمم المتحدة . ففى بريطانيا العظمى لا يكاد ينتهى الخلاف الذى شجر فى حزب العمال ، واضطر الحكومة البريطانية إلى عرض الثقـة ، حتى يثار خلاف آخر بين العمال دائماً ، وحول السياسة الخارجية البريطانية دائما كذلك .

والخلاف فى هذه المرة خطير ؛ فالمتطرفون من العمال يرون أن حكومتهم لم تبر بوعدها ، ولم تيسر للديمقراطية سبلها فى الخارج ، ويرون أن حكومتهم اشتراكية فى بريطانيا العظمى مؤيدة للرجعـية خارج بريطانيا العظمى . وضغطهم هذا يضطر الحكومة إلى ظاهر من التساهل ، ولـكنها لا تكاد تقدم على هذا التساهل الشكلى حتى يسخط المعارضون من المحافظين ، ويصيح المستر تشرشل فى مجلس العموم بأن حكومة العمال تدفع الامبراطورية إلى الانحلال .

وكذلك تجـد الحـكومة البريطانية الاشتراكية نفسها بين نارين : نار تأتيها من اليسار من أتباعها المتطرفين ، ونار أخرى تأتيها من اليمين من خصومها المحافظين . وقد يكون من الحمق أن نهمل نيراناً أخرى تواجهها من خارج بريطانيا العظمى ، وتأتيها من هذه المشكلات الـكثيرة التى تتعقد فى كل يوم ، وتزداد تعقداً من يوم إلى يوم فى أكثر أرجاء الامبراطورية : فى الهند ، وفى بورما ، ثم فى مناطق النفوذ كالشرق الأدنى ، والشرق الأوسط مثلا .

فالذين يؤمنـون بقوة الامبراطورية البريطانية وقدرتها على مواجهة المشكلات وقهر الصعاب ، كما كانت تفعل من قبل ، فى حاجة إلى أن يعيدوا النظرة فيما كونوا لانفسهم من رأى ؛ فقد خرجت الامبراطورية البريطانية من الحرب منتصرة ، ما فى ذلك شك ، ولـكنها لم تنتصر وحدها ، وإنما انتصر معها قوم آخرون ، لعلهم أن يكونوا أعظم منها قوة ، وأشد منها بأساً ، وأكثر منها ثراء ، وأقدر منها على مواجهة الصعاب . وقد بذلت الامبراطورية البريطانية أثنـاء الحرب ، وعوداً أسرفت فى بذلها ، وآن أوان الوفاء بها ، وكانت تظن أنها تستطيع أن تعـد اليوم لتخلف غدا ، ولـكن الشعوب التى تلقت هذه الوعود لم تكن عابثـة ، ولا هازلة ، وإنما كانت جادة كل الجد ، وهى الآن تطالب بتحقيق ما بذل لها من الوعود .

وفى فرنسا تم الانتخاب للجمعية الوطنية ، على النحو الذى عرفه القراء ، والذى لم يظفر فيه حزب بالـكثرة المطلقة ، وجرت انتخابات مجلس الجمهورية ، وانتهت على النحو نفسه . فأصبح أمر الحكم فى فرنسا من أشد الأمور عسراً ، لا يستطيع حزب أن يستقل بالحـكم إلا أن تؤيده الأحزاب الأخرى . وقد طالب الشيوعيون ، وحزبهم أعظم الأحزاب ، برياسة الوزارة ، فأبتها عليهم الأحزاب الأخرى . ثم طالب بها حزب الجمهوريين الشعبيين فرد عنها ، واضطرت فرنسا إلى أن تلجأ إلى الحزب الاشتراكى ، وهو من أحزاب الأقلية ليعطيهـا رئيساً للوزارة ، فأعطاها زعيمها العظيم المسيو ليون بلوم . ولـكن هذا الزعيم لم يستطع أن يؤلف بين المختلفين ، فاضطر إلى تأليف وزارة من حزبه الاشتراكى ، وظهر فى فرنسا هـذا المظهر الغريب ، حزب من احزاب القـلة يؤلف الوزارة وتؤيده الجمعية الوطنيه تأييـداً إجماعياً ؛

لأنها لا ترى مخرجاً غير هذا من الحرج .

وهذه الوزارة موقوتة بالطبع ، ستستقيل حين ينتخب رئيس الجمهورية . وسنرى كيف تستقبل فرنسا أمرها ، وكيف تتكون فيها الكتلة التي تلي الحكم : أتكون كتلة تميل إلى الشمال ، أم تكون كتلة معتدلة متوسطة .

ولكل هذا أثره في توجيه أوربا الغربية ؛ فالأمر ليس إلا صراعا بين اليساريين الذين يريدون أن يأخذوا من رأس المال أكثر ما يستطيعون ، وأصحاب اليمين الذين يريدون أن يحتفظوا من نظام رأس المال ، بأكثر ما يستطيعون أن يحتفظوا به .

ط حسين